JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والعشرون
٢٠٢٤م /١٤٤٥هـ
العدد الحادي والعشرون
(١٨٩)- (١٩٩)

سؤال الهوية وصراع الذات في رواية عذراء سنجار لوارد بدر السالم

م. د محمد إبراهيم عبدالله حسن
جامعة تكريت /كلية التربية الأساسية / الشرقاط
mohmmed.abdullah21@tu.edu.iq

االمستخلص:

تعد الرواية من الوسائل التصويرة للواقع فهي تصور لنا الأحداث بشكل واضح وجلي، فهي إنمازت عن الأجناس الأخرى بمميزات عدة منها تعدد الشخصيات والأمكنة والأزمنة، وقد تختلف مواضيعها باختلاف مجالات الحياة، وبعد قراءتي لرواية عذراء سنجار دفعتني رغبة جامحة إلى سبر غور البحث والتقصي عن الذات المستلبة التي مرت بها الشعوب العربية والاسلامية ولا سيما الشعب العراقي، وبسبب الحروب والتهجير القصري للإنسان، أضحى البحث عن الهوية الشغل الشاغل لدى الكتاب للتعبير عن حالات الضياع والتهجير والتشتت والاستلاب الذي يعيشه الأنسان العربي ، الأمر الذي دفع البعض من الكتاب والنقاد أن يسيرون ويحرثون في هذا الحقل لما فيه من مادة غنية تجعل من النصوص الأدبية نصوصاً زاخرة بالتأويل والتحليل وفضاءً رحباً لمن أراد أن يكتب ويقرأ ويبحث في هذا المجال، وهذا الأمر دفعني إلى اختيار هذا الموضوع الذي سيبقى معبراً على مر التاريخ عن هموم الانسان وواقعه المأساوي الحافل بالنكبات وخيبات الأمل.

الكلمات المفتاحية : الهوية ، الصراع ، الذات، الرواية .

Identity Question and Self-Struggle in the Novel "Sangar's Virgin" by Ward Badr Al-Salim

Dr. Mohammad Ibrahim Abdullah Hassan
University of Tikrit / College of Basic Education / Ash-Shirqat
mohmmed.abdullah21@tu.edu.iq

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والعشرون
٢٠٢٤م /١٤٤٥هـ

Abstract:

The novel serves as a pictorial representation of reality, portraying events clearly and vividly. It distinguishes itself from other genres with several features, including the plurality of characters, settings, and times. Its themes may vary depending on the domains of life. After reading the novel "Sangar's Virgin," I was driven by an intense desire to delve into the depths of research and inquiry about the shaken identity experienced by Arab and Islamic peoples, especially the Iraqi people, due to wars and forced displacement. The search for identity has become a preoccupation for writers to express states of loss, displacement, dispersion, and upheaval experienced by the Arab individual. This has prompted some writers and critics to delve into this field for its rich material, turning literary texts into rich sources for interpretation and analysis, providing a broad space for those who wish to write, read, and research in this field. This compelled me to choose this topic, which will remain expressive throughout history of the concerns and tragic reality filled with catastrophes and disappointments.

Keywords: identity, conflict, self, novel

المبحث الأول : الهوية

تعد الهوية من المصطلحات الحديثة التي حظيت باهتمام كبير لدى الكتاب والنقاد في العصر الحديث، وتعددت ودخلت في الكثير من المجالات ولا سيما النقدية والنفسية ، التي شهدت تطوراً ملحوظاً عبر العصور، والهوية لغة من الفعل الثلاثي "هوى" بالفتح هوى هوياً وهوياناً وأنهوى ...يقال اهويته إذ الفيته من فوق ...وقيل الحفرة البعيدة القعر وهي المهواة ،(ابن منظور : ٤٧٢٧-٤٧٢٨)، وقد عرفها الجرجاني وقال: " هي الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق، كما تطلق الهوية على الشخص وعلى الموجود المشبه بالشخص إذا ظل هذا الشخص ذاتاً واحدة رغم التغيرات التي تطرأ عليه في مختلف اوقات وجوده"، (الجرجاني، د. ط ، د . ت : ٢١٦). ومن خلال ما سبق نستدل على ان الهوية هي دلالة قطعية على الاشياء وصفة دالة على الشخص الذي انماز بها عن سواه ، وقد عرف الهوية ابراهيم مصطفى بأنها حقيقة الشيء أو الشخص التي تميزه عن غيره، (الزيات ،د . ت، ٩٩٨).

أما في الاصطلاح :

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والعشرون
٢٠٢٤م /١٤٤٥هـ

لقد استعمل مفهوم الهوية في مجالات متعددة للدلالة على الجماعة الفردية والجماعية على حد سواء، ومن الصعب جداً تحديد مفهوم الهوية بدقة لكونها وليدة الدراسات المعاصرة وقد عرفها النقاد بتعريفات كثيرة ومتعددة ومن هذه التعريفات تعريف أمين معلوف إذ يقول : علمتني الكتابة أن احذر الكلمات، فتلك التي تبدو أكثر شفافية هي في أغلب الأحيان أكثرها خيانة ...فهي مثل كلمة هوية فنحن نعتقد جميعاً معرفة ما تعنيه هذه الكلمة ونستمر بالثقة بها حتى عندما تبدأ هي بقول العكس، (معلوف ، ١٩٩٩: ١٣) وقد عرفتها ماجدة حمود بانها " ما يصمد من الأنسان عبر الزمن إذ تلازمه مكونة شخصيته، محددة معالمه بشكل ثابت، مما يمنح ابداعه طابعاً خاصاً، فلا يكون مسخا للآخرين، لهذا تعد شرطاً ملازماً للفرد" ، (حمودة ، د. ط : ١٥) واستنتج مما سلف إن مفهوم الهوية ذو دلالة كبيرة تحتمل الكثير من التأويل والتفسير الذي لا يمكن حصره بسهولة مطلقة.... وفي رواية عذراء سنجار قد وزع الكاتب أدوار الهوية منها هوية المرأة المغتصبة، وهوية المرأة الثائرة ّإذ جسد الراوي أهمية الهوية والدفاع عنها بكل الاشكال والأنماط وأعطاؤها ادواراً كبيرة في سير أحداث الرواية.

١.هوية المرأة المغتصبة :

بقيت المرأة الحرة تعاني من ظاهرة الاغتصاب على مر العصور من العصر الجاهلي إلى يومنا هذا على الرغم من تحريم الدين الاسلامي ذلك فقد نهى الله عز وجل عن ذلك فالاغتصاب يدخل ضمن حد الزنا وقد نهى الدين الأسلامي وحرم الزنا لأنه فاحشة وأكراه أحد الطرفين على ذلك، فالاغتصاب هو انتهاك حرمة الجسد والاغتصاب لا يشمل النساء فحسب ، بل يشمل الأطفال والرجال أيضاً، والاغتصاب الغاية منه تحقيق الشهوة الجنسية للرجل إن كان رجلا، لكن السائد والشائع للاغتصاب هو اغتصاب الرجل للمرأة دون موافقتها، وكما اسلفت إن الاغتصاب لا يختلف عن الزنا في الشريعة الاسلامية، فهو اتصال جنسي بين الرجل والمرأة بغير رضاها، وقد تجلت ظاهرة الاغتصاب في الكثير من نصوص الرواية وهذا ما تحقق جليا وواضحا للعيان على لسان الراهبة نالين "لست قحبة .... انا الراهبة نالين ....لا تكشفوا ثوبي انا استحي من الله"(السالم ، ٢٠١٦: ٢٨٤)، ولم يكتفوا خفافيش العصر الدواعش لعنهم الله من انتهاك المحرمات بل تجاوزوها ولم يسلم منهم الجميع ولا سيما الايزيدين الذين عانوا الأمرين عبر الاحتلال الداعشي الذي سبى النساء وانتهك حرمات الله عبر افعاله الشنيعة فالراهبة نالين قدمت لنا نموذج وهوية لمرأة أيزيدية مغلوب على أمرها على الرغم انها قاتلت وبضراوة باسلة ومعنويات عالية لكن الكثرة تغلب الشجعان ، فهي لم تكن ضعيفة بل كانت امراة صابرة عفيفة حرة ، وبالتالي كانت مؤمنة بحكمة الله وامره "" لم أكن ضعيفة كنت قوية لكنهم كانوا أقوى مني ... لم

JOBS مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والعشرون
٢٠٢٤م /١٤٤٥هـ

يكونوا بشر بل كانوا ثيراناً يبحثون عن النساء كالرعيان القادمين من صحراء قاحلة ...كانوا مجموعات من نسل قذر لا أدري لم خلقهم ولأي سبب ...ها ...استغفرك ايها الرب هذه حكمتك "، (السالم، ٢٠١٦: ٢٨٤)، صور لنا الرواي المشهد بكل تفاصيله واعطى الراهبة المغتصبة شخصية البطل على الرغم ما حل بها من مأسي واستلاب للذات والجسد، فهي لم تبق مكتوفة اليدين بل كانت مدافعة عن كل المظلومين ولا سيما النساء اللاتي وقعن ضحية هذا الاحتلال الذي لم يسلم منه الشيوخ ولا الاطفال ولا النساء وهذا ما تجسد جليا في هذا النص ""قال لي أنت قحبة لأني حاولت أن احمي قروية بائسة ومسكينة ... أنا الراهبة المؤمنة على أعتاب الخمسين ... أنا نالين التي لم يمسني لا أنسٌ ولا جان ولا طيرٌ ولا حجر "(االسالم ، ٢٠١٦ : ٢٨٩)، في مواضع اخر تجسدت لنا معاناة المرأة فهي تترجى من لا رجولة له فهي اسيرة مغلوب على امرها فالحوار الذين دار بين الداعشي الذي يتحدث لها باسم الدين الذي هو بريء منه ولا ينتمي اليه لكون النساء وقعن أسرى بأيدي هؤلاء الذين لا يأخذون بكتاب الله وسنة نبيه الأكرم الذي أوصى بمعاملة الأسير معاملة حسنة كريمة، فهم لم يأخذو من الدين شيئاً فهم جاءوا من أجل اشباع غرائزهم وميلوهم وأهوائهم بأي طريقة كانت " لا تفعل هذا أرجوك انا امرأة مؤمنة وشريفة ... انا راهبة...أنت يزيدية وقحبة وكافرة ..قضت عليك العقوبة أن نختنك ونقص زائدتك العاهرة .. أشكري الله جاء الأمر بعدم حرقك أو شنقك ... لا تكشفوا ثوبي انا استحي من الله" (السالم ، ٢٠١٦،٢٩٠)، وعلى الرغم من ذلك كانت ولا تزال المرأة العراقية ولا سيما الإيزيدية رمزاً للشرف والعفة والمجد والسمو فهي بقيت شامخة باسقة مدافعة عن حقوقها فهي أم وأخت كريمة حافظت على هويتها الأصيلة واثبتت انتمائها الحقيقي لهذا الوطن على مدى العصور .

٢.هوية المرأة الثائرة

لقد بقيت المرأة شامخة وقادرة على تحمل المشاق على مر العصور فالتاريخ وثق ذلك رغم الحيف والظلم الذي وقع علها فهي رمز للبطولة والتضحية، وقد شهد لها لتاريخ ذلك فقد شاركت المرأة مع الرجل في الحروب والمعارك وهناك الكثير من النساء اللاتي قد أبلين بلاءً حسناً في ذلك امثال الخنساء ورابعة العدوية وغيرها، فالكاتب اعطى أدوارا متعددة لشخصية البطل ومنها شخصية المرأة التي كان لها حضور كبير في تجسيد الاحداث، فهي الأم والأخت والحبيبة في أغلب الأدوار وهذا ما بدأ جلياً واضحا في الكثير من المواضع إذ يقول الراوي : " قالت المرأة : إنه بيتك يا اخي.. كل شنكالي* – شنكال هي سنجار– هذا بيته ..كثيرون مروا من هنا

..جلبت المرأة شيئاً من الخبز والشاي والزيتون على صينية صغيرة

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والعشرون
٢٠٢٤م /١٤٤٥هـ

انتما جائعان ...لكن الولد نائم ..

رحلة متعبة ..المهم سلامتكم "(السالم ، ٢٠١٦ : ٢٦)، هذا المقطع جسد لنا الكثير وأعطى لنا اشارة واضحة جلية على إن المرأة حاضرة في كل المواقف الضراء والسراء، فكل ما دار من حديث وحوار كشف لنا دور المرأة البطولي الفعال رغم حجم الكارثة التي حلت بالشعب العراقي ولا سيما الايزيدي وتتكرر صور البطولة بوجه المغتصب لكن المرأة لم تقف صامته اتجاه ذلك " انا راهبة مؤمنة بخودا وطاووسي ملك وشيخادي...

هههه انت كافرة ..ايزيدية شيطانة ..

لينفعك طاووسك وشيخك يا وجه البومة ..

انت أم المعاصي ولا بد من ختانك يا كافرة " ،(السالم ، ٢٠١٦ : ٢٨٢)، فالمرأة الايزيدية لم تقف مكتوفة الأيدي بل كانت لها صولات وجولات في ميدان القتال إلى جانب الرجل عبر الصور الموحية الدالة على ذلك ففي احد الصباحات جمع الدواعش الناس ليتلو بياناً أمام الناس في أحدى الساحات العامة كما هو معتاد وجاء مضمون البيان :

" بسم الله الرحمن الرحيم

ولاية الجزيرة قضاء سنجار

حكم شرعي

بالنظر لامتناع الكافرات المدرجة اسماؤهن في ادناه بالدخول إلى الدين الاسلامي الحنيف، ونظرا لصغر أعمارهن وبعضهن غير بالغات، فقد حكمنا شرعاً بحقهن الحكم التالي :

اولاً : حلق رؤوسهن في مكان عام ويشهد على ذلك العامة .

ثانياً : جلدهن ثلاثين جلدة في مكان عام ويشهد على ذلك العامة.

ثالثاً : تعد هذه العقوبة أولية وتأديبية، وتودع الكافرات في سجن الولاية بعد الجلد لحين توبتهن " (السالم ، ٢٠١٦ :٤٣)، إن الدين الاسلامي الحنيف كرم المرأة ولم يهنها بأي شكل من الأشكال، فالنص فيه صور دالة على رفض المرأة الظلم والاستبداد والطغيان، فالنسوة رفضن كل العروض المقدمة لهن وتحت الشعارات الزائفة أسلم تسلم ... لكن المرأة لم ترضخ وتخضع لكل هذه المغريات وأبت ذلك وهذا يدل على إنها لا تقل شأنا عن الرجل وحلت محل الرجل في كثير من المواضع .

المبحث الثاني : مكونات الهوية .

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والعشرون
٢٠٢٤م /١٤٤٥هـ

تعد الهوية من المرتكزات الأساسية التي تقوم عليها شخصية الفرد، فهي حظيت بمكانة مرموقة في الساحة النقدية في العصر الحديث ولا سيما في المجال الروائي فهي تستند على عدة مرتكزات ومن أهمها الوطن والدين .

الوطن :

هو المكان الذي نعيش فيه ونشعر بانتمائنا اليه ، فهو مكان الاستقرار والإقامة، وهناك علاقة وطيدة ما بين الأرض والوطن والهوية، فالانتماء للوطن يحتاج إلى تحديد الهوية والمصير فلا هوية من دون وطن، وتحديد الهوية يكون عبر الولاء المطلق للوطن والدولة، فالوطن هو قلب المواطن، ومن الضروري الحفاظ على مكونات الهوية المتمثلة به " فالوطن بوصفه وطن الأرض أو الجغرافية قد اصبح كياناً روحياً واحداً يعتمر قلب كل موطن ... وكل مس بالوطن أو بالأمة أو الدولة هو مس بالهوية"، (تركي، د. ط : ٦٤٠) ، وهذا ما تجسد جليا في النص الروائي اذ يقول الراوي" هذا لالش الذي ولد في الأسر والدم والرصاص والخوف والموت ... إنه بيت الفقير الذي سيكون علامة من علامات البقاء التي تشد الايزيديين لبعضهم في اخطر محنة بقاء تمددهم ..إنه الضريح الرمزي للايزيدية اثناء الغزو والاحتلال لالش الأسير ... هذا الضريح الحق يا سربست ، (السالم ، ٢٠١٦ : ٣٩٥)، وفي موضع آخر من الرواية يجسد الراوي بعدسة الكاميرا وبتفاصيل دقية استلاب المكان والشخصية في آن واحد " يستحضر صورة العم آزاد ... كم اشتاقيت يا عم ..فيشعر بالحزن لهذا البعد الاجباري ..تعود له سنجار بكل دفقها المؤلم ...عيدو ....الحامل ... العم سالار ... سورا سكي...سورا بني... السور الروماني ... المدرسة ... السيدة زينب ... سوق المنارة ...كنيسة مريم العذراء.. باب الخان "،(السالم ، ٢٠١٦ : ٣٥٧)، فالوطن يسهم في تعزيز الهوية لدى الأنسان عبر تعلم قيمه وتكوين شخصيته عموما، كما يحقق له هوية اجتماعية يرتبط بها وبتاريخ مختلف العناصر الطبيعية والبشرية، وما ينشأ عنها من أوضاع سياسية واجتماعية واقتصادية وسايكلوجية .

يبقى الوطن خالدا على الرغم من الماسي التي حلت بالشعوب، ويتحول المكان الأليف إلى مكان معادي بسب الضغوط التي تحل بالشخصية نتيجة الصراع أو الحرب أو العوامل التي تحيل إلى ذلك، وتستمر الأحداث وتصور لنا كيف تحولت المدينة/ الوطن إلى ساحة معركة/ حرب بلحظات وهذا ما جسده الراوي لنا عبر هذا النص " فزت المدينة على صوت اطلاقات نارية بدأت منفردة ومتفرقة ثم تكاثفت مع اطلاقات الدوشكات المتتالية واشتعل الفجر البارد بمذنبات المقذوفات المتطايرة من كل مكان ضخمة كبير ضخمها الفجر الصامت والحياة الساكنة، وظل الصدى يعيد الأصوات بشكل بطيء كما

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والعشرون
٢٠٢٤م /١٤٤٥هـ

لو غن معركة تجري في مكان ما "، (السالم ، ٢٠١٦ : ٣٨٦)، وتتنامى الأحداث وتتسارع بوتيرة أصوات الحروب والخوف والاستلاب الذي هيمن على سكان سنجار القلة الذين وقعوا تحت بطش الاحتلال الخامس والسبعين الذي كان الأعنف على سكان المدينة فبعد أن كانت تنتشر رائحة العطر الفواحة من البساتين والاسواق الحافلة بالمارة انتشرت رائحة العنف والقتل والتشرد والضياع وهذا المقطع يجسد لنا ذلك " انتشرت رائحة البارود في فضاء المدينة وظل المارة وقتاً غير قصير يتوجسون من عودة الطائرات، فيما أعتلى سطوح المباني جنود الخلافة يراقبون السماء وهم على استعداد استثنائي " (السالم ، ٢٠١٦ : ٣٧٩).

الدين :

يعد الدين من أهم الركائز الاساسية التي ترتكز عليها الهوية، لكونه يساعد في تشكيل فكر الانسان، فهو أكثرها خطورة لأنه شمولي يجتاح الملل والطوائف والفرق الدينية والمذهبية ويؤجج الصراعات وينتج التديّن العصابي الجمعي الذي يحدث " نتيجة الإعلام الزائف أو التضليل فهو تعبير عن استلاب وضلال معرفي"، (حيدر، ٢٠٠٨: ٨٥)، والمعرفة هي المعيار المتحقق الذي عبره يوجه الإنسان مساره نحو تحقق الذات وما تخفيه من رغبات ولا يمكن فصل الاستلاب الديني عن كونه استلاباً معرفيّاً وذلك لأن الدين هو المعرفة الأكثر ثبوتاً أو بالأحرى الأكثر إقناعا وتعبئةً؛ إذ يوظّف الدين لمبتغيات وأهداف وغايات المتسلطين وقد بدأ ظهوره في الأزمنة الحديثة مع ظهور الملوك والسلاطين الذين كانوا يعتبرون الدولة موجودة من أجلهم لا من أجل المجتمع وقد وظفوا جميع فعاليات المجتمع وإمكاناتهم من أجل رغبتهم الذاتيّة وبما أن الدين هو الدافع الأشد عمقاً في النفس البشريّة، فهو الأشد قدرةً على تحريك المجتمع وقيادته ولذلك كان جميع الطامحين إلى الهيمنة يطمحون إلى احتواء الدين"، (حيدر ، ٢٠٠٨ : ٨٠)، وهم يدعون خضوعهم للمبادئ الدينيّة والحقيقة غير ذلك، فالقتل باسم الدين شيء كبير لا تطيقه العقول فالقتل والتشرد والعنف بات ينسب وللأسف الشديد للدين والدين الاسلامي الحنيف بريء كبراءة الذئب من دم يوسف "لا يوجد أي رجل دين في المدينة ..ذبحوا من قبضوا عليه وهرب من حالفه لحظ وقت الغزو ..هذا ما كنت على يقين منه"، (السالم ، ٢٠١٦ : ٣٨٤)، فالشعارات الرنانة الزائفة قد استشرت والخطابات التي جاءوا بها الغرباء اصبحت مكشوفة الغرض منها تشويه الدين الإسلامي واعطاء صورة للعالم غير صورته الحقيقية للدين عبر الإعلام المظلل " ..أما بعد ... اسمعوا يا اهالي سنجار .. بالأمس القريب كنتم في ضلال مبين تعبدون الشيطان والطاووس والحجر وقد اخزاكم الله تعالى وفضحكم ...يا اهالي سنجار الايزيدين المشركين بالله

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والعشرون
٢٠٢٤م /١٤٤٥هـ

...اسمعوا وعوا أيها الملحدون المشركون بالله ورسوله المصطفى"، (السالم ، ٢٠١٦ : ٤٢) ويتجسد التسلط والتجبر والاكراه في الدين كسرا لحدود الشرع الذي نهى عن التسلط ووضع الآخر تحت المطرقة والسندان وهذا ما بدأ جلياً على ابناء المكون الفقير الذي وقع ضحية الاحتلال وعانى الأمرين "قرب المجدور رأس المايكرفون من فمه كما لو انه رأس بصل يهم باكله ... اما بعد فقد دخلتم الاسلام مكرهين أو راضين فقد وجب عليكم لطاعة والسير بهدى الرسالة المحمدية العظيمة تحت راية لا اله الا الله محمد رسول الله" ، (السالم ، ٢٠١٦ : ٤١)، الثبات على الدين أمر ضروري، والدين هو مبدأ ورسالة، فالهوية الدينة واضحة في أغلب النصوص واتجلى ذلك من خلال دم عفتال الذي ثبت على دينه ولم يستسلم للعروض الداعشية، فهو فضل الموت من اجل الحفاظ على الهوية الدينة التي ينتمي إليها وهذا ما وقع مع أغلب الايزيدين الذين عانوا ما عانوا وماتوا بدم رخيص، وحتما سينتصر الدم على السيف، فنستذكر دم الشهيد الحسين عليه السلام الذي بقى خالدا على مر العصور، "تبارك بدم عفتال الايزيدي الذي ثبت على دينه لأنه يؤمن بالرب وروح الرب الباقية إلى يوم القيامة، سأنتمي اليك يا عفتال لأنك الحقيقة الجميلة التي ستبقى وتكبر وتجذب الفقراء اليك، يترحمون على روحك الطاهرة وتضحيتك الغالية لأنك ابن الدين الشجاع ، ولم تنقسم شخصيتك ولم تهتز في هذا الفيضان الداعشي النازي الذي سحق الأرض والعرض وعاث فساداً في الأرحام الطاهرة وانبت فيها كل نجاسة الأرض وفسادها وعفويتها"، (السالم ، ٢٠١٦ : ٣٩٥

المبحث الثالث : تجليات الهوية

لقد حملت الرواية العراقية المعاصرة الكثير من النصوص التي تحدثت عن الهوية بشكل ملحوظ، والسبب في ذلك يعود إلى أمرين : الأول الواقع الذي يعيشه المواطن العراقي الأمر الذي دفع أغلب الكتاب في العصر الحديث ان يتطرقوا إلى قضية الهوية، والثاني البيئة الخصبة التي تتيح للكاتب توظيف تجليات الهوية بشكل كبير وتجعل منها مادة حكائية تدفع عجلة السرد إلى الأمام وتعددت الهويات بشكل ملحوظ في رواية عذراء سنجار حسب ما موجود إلى اقسام منها الهوية الوطنية والهوية المكانية وهذا دفعني إلى محاكاة هذه النصوص ومحاورتها واستنطاقها وفق ما يقتضيه سياق النص:

١- الهوية الوطنية :

تعد الهوية الوطنية من اسمى الهويات التي ينبقي أن يحملها الأنسان لكونها تمثل الانتماء الذاتي والروحي للإنسان، وعندما تفقد هذه الهوية يفقد الانسان ذاته وما يتعلق بها، وفقدان هذه الهوية هو ضياع وتمزق لذات الانسان، وهذه ما بدأ جليا واضحا في الكثير من نصوص الرواية والمقطع الحواري

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والعشرون
٢٠٢٤م /١٤٤٥هـ

جسد لنا ذلك بشكل جلي وواضح " كل شيء يحدث ...معارك عنيفة مقبلة على ما يبدو ...وكثير من الشنكاليين*

في المخيمات وراء الجبل يعانون من البرد والمطر والأمراض.

-هناك شنكاليون أبعد من الجبل !

-مخيمات كثيرة هناك في دهوك والسليمانية وكثيرون سكنوا هياكل بيوت فارغة في أربيل.

-ألا يوجد أمل يا صديقي..؟

-نظر اليها بعينين نافذتين :

-يوجد ...

-تأففت الحامل :

ضقنا ذرعاً من هذا السجن"، (السالم ، ٢٠١٦ : ١٦)،(* الشنكاليين: شنكال هي : سنجار- باللغة الكردية التي يتكلمها الأيزيديون وشنكاليون هم سنجاريون وسيرد هذا

-كثيرا في مواضع من الرواية وهما بنفس المعنى) إن فقدان الهوية الوطنية لا يعني ضياعها فحسب وإنما هو استلاب لجميع مكونات الهوية المتمثلة بالقرى والطرق والمزارع وغيرها، فكل شيء يعطي وظيفته، فالإنسان العراق عاش الويلات وقضية التشرد والضياع أصبحت أمرا ملحوظا لا سيما في الحروب " استرق مع طيف الغروب الأخير زوايا المكان بشكل سريع كما لو يريد أن يتذكر الطرق القديمة التي يرفها، لكن احساساً سريعاً غمره بأن كل شيء قد تغير ...كانت هنا قرى وبيوت طين وقرويون وفلاحون وزرع ونبات وتين ..يبدو جرفوها"،(السالم ، ٢٠١٦ : ٢٠)، أن فقدان الهوية الوطنية ليس بالأمر السهل وإن الذي شهدته المدينة ليس بالأمر السهل فهي شهدت دماراً شاملا، فضلا عن ذلك ليمتد إلى سلب الهوية وطمسها بأي شكل من الأشكال فبعد أن كان الانسان / الأيزيدي ينعم بنعمة الطبيعة المتمثلة بالجبال والينابيع والتين والزيتون، بات بلا مأوى بلا مسكن بلا ماء بلا بلا ...فقد مثل هذا النص ووثق لنا حجم الكارثة التي وقعت "أيها الشرطي المرتبك دلشاد لا تترك التاريخ الشخصي للمدينة حتى لا يضعها جلاوزة الدين في فتاوى وفرمانات جاهلية.. أنت ابن التاريخ البعيد والقرية البعيدة مثلما هو عيدو ابن هذا وسربست والسيدة التي طال حملها وكل شنكالي حاصرته الشظايا وقتلته وكل شنكالية ماتت بعطش الهجرة ذات آب حار مشتعل بالنار وهي ابنت الينابيع والعيون والجبال "، (السالم ، ٢٠١٦ : ٧٠-٧١)، على الرغم من التنوع في المكونات العراقية تبقى الهوية الوطنية الرغم الصب في ذلك فنجد عيدو الرجل الايزيدي الذي ابتلاه الله بفقدان عقله في معركة نهر

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والعشرون
٢٠٢٤م /١٤٤٥هـ

جاسم ، التي تعد من اشهر المعارك التي دارت في محافظة البصرة جنوبي العراق واستمرت لأشهر خسر فيها الطرفان أعدادا كبيرة من الجنود والتي أصيب بها عيدو بشضايا في رأسه الامر الذي جعله يتصرف خارج ارادته، "موقد عيدو على الرصيف الذي يستهلك الكثير من الحطب لا ينطفئ بأكل الأخشاب واغصان الأشجار وأقفاص الفاكهة والسلال المتفسخة وزبالة المكان، يمر به السنجاريون ولا يمر به أحد منذ اكثر من ثلاثين سنة بعد حادثة يعرفها الجميع والتي اخرجته بنصف عقل أول لا عقل ، غير انه بقي كما هو، عيدو علامة المدينة ورحلها العسكري السابق الذي ثلاث لغات محلية، ينفعل بواحدة ويكفر بواحدة ويشتم بواحدة، لكنه يجيد اللغة الأكثر دهاء وغموضاً وهي الصمت، فيمزج كل اللغات التي تعلمها هذه اللغة التي جنبته الكثير من المشاكل بعد حادثة نهر جاسم في البصرة"(السالم ، ٢٠١٦ : ٣٦) .

٢- الهوية المكانية :

إن التمسك بالمكان والانتماء اليه بات أمر ضروري، لما يحمله المكان من خصوصيات ثقافة وتاريخية واجتماعية، وتجسدت الهوية المكانية وعضدت احداث الرواية وادامت صيرورة الأحداث بشكل مستمر، فالمكان أضحى عنصرا جوهريا يوجه الأحداث والشخصيات ويكشف لنا عن وضع الشخصيات ومكامن اسرارها، فالانتماء للمكان بتجلياته وازمنته واحداثه والعيش فيه بكل تفاصيله يعطي المتلقي صورة عنه من حيث الألفة أو العداء فكل هذه الأمور يصورها ويكشفها لنا الزمن عبر تفاصيله ، إن الانتماء للمكان ضروري لكن لا على حساب الانسان ذاته، بل ينبغي الأخذ بعين الاعتبار ماذا سيحل لك ان بقيت في هذا المكان وماذا سيحدث لك إن اصبح المكان معاديا لا تستطيع البقاء فيه، فعيدو المريض رغم كبر سنه ومرضه يحرق في مدينته مدينة التين والزيتون التي يمتد تاريخها إلى آلاف السنين " داعش تحرق عيدو المجنون حياً ...في سنجار...!"(السالم ، ٢٠١٦ :٣٤١)، فكل هذه الاحداث حولت المكان الأليف إلى مكان معادٍ بفعل استمرار عجلة الزمن وما دار في سنجار من كوارث نتيجة للاحتلال الداعشي الوحشي الذي لم يسلم منه أحد داخل المناطق المغتصبة، " في شنكال قبور لا تحصى ومقابر قادمة وقتل لا يتوقف ..ما زلت صبيا وستنسى ..الزمن سينسيك كل شيء يا بني ..لماذا عدت"(السالم ، ٢٠١٦ :٥٦)،كل ما حدث ويحدث ...مقابر...موت ..صراع نقسي زمان ومكان لا يطاق فسنجار وامكنتها أصبحت قاسية مدينة موتى ورعب، بعد ما كانت مدينة سخاء ورخاء وتعايش سلمي.

المصادر والمراجع :

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والعشرون
٢٠٢٤م /١٤٤٥هـ

١. ابن منظور، لسان العرب ، دار المعارف، القاهرة ، ط١، (د . ت).
٢. أنيس ، إبراهيم ،المعجم الوسيط، ج/١، المكتبة الاسلامية للطباعة والنشر، د. ط ، د.ت .
٣. بن تركي ، اسماء، الهوية الثقافية بين الاصالة والحداثة في ظل التغيرات السيوسيو ثقافية للمجتمع الجزائري ، مجلو العوم الانسانية، المركز الجامعي ، الوادي الجزائر ، العدد ١، (د.ت).
٤. الجرجاني ، الشريف، التعريفات ، دار الفضيلة ، القاهرة، (د. ط)، (د . ت).
٥. حمودة، ماجدة ،اشكالية الآنا والآخر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ط١، (د .ت).
٦. حيدر، أحمد، ٢٠٠٨، ط١،الخروج من الاستلاب، الهيئة السورية العامة للكتاب، دمشق.
٧. السالم، وارد بدر، ٢٠١٦، ط١عذراء سنجار، رواية، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف.
٨. معلوف ،امين، ١٩٩٩، ط١ الهوية القاتلة ، قراءات في الانتماء والعولمة، ترجمة : نبيل محسن ، دار الطباعة والنشر والتوزيع، سوريا ، دمشق.

9.Ibn Manzur, Lisan al-Arab, Dar al-Maaref, Cairo, 1st edition, (ed. t).
10. Anis, Ibrahim, The Intermediate Dictionary, Part 1, Islamic Library for Printing and Publishing, Dr. i, d.t.
11. Bin Turki, Asmaa, Cultural Identity between Authenticity and Modernity in Light of the Socio-Cultural Changes of Algerian Society, Journal of Humanitarian Studies, University Center, Al-Oued, Algeria, Issue 1, (ed.).
12. Al-Jurjani, Al-Sharif, Definitions, Dar Al-Fadila, Cairo, (ed. i.), (ed. t.).
13. Hamouda, Majda, The Problem of the Self and the Other, National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait, 1st edition, (ed.).
14. Haider, Ahmed, 2008, 1st edition, Exiting Alienation, Syrian General Book Authority, Damascus.
15. Al-Salem, Ward Badr, 2016, 1st edition, The Virgin of Sinjar, a novel, Defaf Publications, Difference Publications.
16. Maalouf, Amin, 1999, 1st edition, The Deadly Identity, Readings on Belonging and Globalization, Translated by: Nabil Mohsen, Printing, Publishing and Distribution House, Syria, Damascus.